

هذه الطبعة
إهداء من المركز
ولا يسمح بنشرها ورقياً
أو تداولها تجارياً

اللسانيات العربية

Allisaniyat Al Ārabiyyah

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الملك
عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية
العدد ٧ شوال ١٤٣٩هـ - يوليو ٢٠١٨ م

- ترجمة المصطلح وتوطين اللسانيات.

- من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث..

- البعد التفاعلي في الكتابة الأكاديمية من خلال ظاهرة التأدب اللغوي.

- أنظمة الكتابة: النظرية وإشكالية التصنيف.

- اللسانيات التطبيقية وسؤال التخصص.

- منهج جديد في علم الدلالة الصرفي: الأفعال المزيدة نموذجاً.

- مراجعة كتاب: المصطلحات المفاتيح في اكتساب اللغة الثانية.

أنظمة الكتابة: النظرية وإشكالية التصنيف

د. هشام بن صالح القاضي.*

الملخص

تأخر اللسانيون كثيراً في الاهتمام بالكتابة بوصفها نتاجاً لغوياً مقابلاً للكلام. ورغم النقاش الذي حظيت به بعض الأدبيات في كون الكتابة ناتجاً أصيلاً أو فرعياً عن نظام اللغة المجرد، فإن الدراسة اللغوية للكتابة لم تبلغ مداها حتى نشأت نظرية أنظمة الكتابة. وتعرض هذه الدراسة الإطار النظري لأنظمة الكتابة، ومقارباتها التصنيفية، في محاولة لسبر الإشكالية التصنيفية ومقارباتها المختلفة واصطلاحاتها العلمية. ثم تناقش بناء على ذلك تفصيلاً أهم المقاربات التصنيفية وأكثرها تأثيراً في هذا المجال، وتنعم النظر في الفرضيات التي أدت إلى ظهور التصنيفات المختلفة، وتحاول رسم معالم الإشكالية التصنيفية التي تسيطر على البحوث التي تناولت هذا الشأن وميلانها أحياناً إلى الاضطراب والتنازع.

لقد حاولت هذه الدراسة تشكيل أطروحة تصنيفية بناء على الإطار النظري، أخذة بالاعتبار ما اتفق عليه الباحثون وما أشار إليه المحققون الكبار في هذا الحقل من تصنيفات تستحق الذكر. وخرجت الدراسة بتصنيف ذي سبعة أنواع للأنظمة الكتابية هي: الكتابة الشعارية، والمقطعية، والصائتية، وأبو جيداً، والأبجدية، والألفبائية، والكتابة المخصصة. ولكل منها تعريف محدد وأمثلة مشتهرة، مدعومة بعدد من الأشكال التوضيحية. ولعل في هذه المحاولة ما يسمح بوضع الحل الأكمل حتى الآن من وجهة نظر الباحث، من حيث اشتغالها على ما توافقت عليه المقاربات المختلفة، بطريقة توازن بين التبسيط المخل والتعقيد المضل.

* - معهد اللغويات العربية. جامعة الملك سعود.

كلمات مفتاحية: الكتابة المقطعية، الصائتية، أبو جيداً، الأبجدية، الألفبائية.

Abstract

Only lately have linguists paid attention towards writing as a linguistic representation parallel to speech. Despite the long debate among specialists about whether writing is a primary or secondary product of language, the linguistic study of writing was not appealing to researchers until the theory of writing system originated. This paper outlines the framework of writing systems and approaches related to taxonomy, in an attempt to examine this typological issue with its various approaches and terminology. It also discusses in detail the most influential approaches to the classification of writing systems and their underlying assumptions.

On the basis of this theoretical framework, seven types of writing systems are discussed, namely: logography, syllabary, moraic, abjad, abugida, alphabet, and featural writing systems. A definition of each one of these systems is then presented together with examples and figures. It is hoped that this attempt, being at the same time neither too complex nor superficial, will contribute with a suitable answer to an issue which has given some concern to researchers in this field.

Keywords: syllabary, moraic, abjad, abugida, alphabet.

مقدمة

للغة نظامان متوازيان هما النطق والكتابة، فاللغة المنطوقة والمسموعة غير اللغة المكتوبة والمقروءة. وحينما يُطلق مصطلح «اللغة» فإن الذهن ينصرف إما إلى النظام اللغوي المجرد أو إلى التناج الكلامي الطبيعي، حسب تقسيم اللساني دي سوسير، وليس إلى الكتابة. وبسبب تأخر اللسانيين الكبير في الاهتمام بالكتابة (أواسط الستينيات الميلادية)، فإن الدراسة كماً وكيفاً غير متكافئة بين هذين النظامين:

الصوتي والكتابي. غير أن الكتابة بالقياس إلى الكلام نوع مصنوعٌ مُتعلّم، وناتجٌ من نواتج الحضارة، في حين ينتج الكلام بشكل طبيعي مكتسب دون الحاجة إلى التعلم في سياق اللغة الأولى. ومن هنا يقرن الناس التعلم بالقدرة على القراءة والكتابة لأنه يتضمن جهداً مقصوداً لذاته. فالقارئ (وأعني ما يضاد الأمية⁽²⁾) قدر لغوي زائد مترافق مع التواصل الحضاري والنقل العلمي وتوريث العلم للأجيال. وبعبارة أخرى فإننا نفترض أن النظام الأساسي الناتج للغة هو الكلام، فيما تشكّل الكتابة النظام الحضاري للغة ذاتها.

إنه لم يُعرف قط مجتمع إنساني بلا لغة منطوقة، حتى في عالم الصم والبكم فإنهم ينتجون ذاتياً - ولو لم يتعلموا لغات الإشارة المعروفة - لغةً للتخاطب والتواصل، بيد أننا نجد كثيراً من اللغات لم يكن لها نظام كتابي معروف، مثل لغة الشوشون Shoshone في غرب الولايات المتحدة وعدد من اللغات الأفريقية والهندية. وتقدر موسوعة Ethnologue (2017) عدد اللغات غير المكتوبة بحوالي 3000 لغة. وفي حال دراساتنا اللغوية، فإننا نحتاج إلى التأكيد على أننا نعني النظام المكتوب المصنوع بواسطة الإشارة والإسناد كأن نقول إن هذا مكتوب باللغة الفارسية، غير أننا لا نحتاج إلى أن نقول: إن هذا منطوق باللغة الفارسية، بل نقول: هذه اللغة (أي المنطوقة) فارسية مثلاً. ومن هنا أصبحت القارئية (القدرة على القراءة والكتابة باللغة ذاتها) قدراً إضافياً تتطلبه الثقافة والحضارة والعلم.

ورغم الاهتمام القديم بعلم أنظمة الكتابة ومباحثه، فإن جمهرة الأبحاث اللسانية أهملت الكتابة وفروعها ربما عمداً لإظهار فروع لسانية أخرى، كما يقول بلومفيلد (Bloomfield، 1935: ص21)، وهو الأمر الذي نتج عنه الاضطراب في هذا الحقل العلمي ومصطلحاته حتى يومنا هذا (Rogers، 2005: ص272). يؤكد هذا الاضطراب - حتى بين المتخصصين أنفسهم - ضرورة التعريف ببعض المصطلحات والمفاهيم، قبيل الدخول في مناقشة أنظمة الكتابة وتصنيفها، لأن مصطلحات مثل الكتابة، والهجاء، والألفبائية، والإملاء، والحروف على بساطتها قد لا تعني أشياء متفقاً عليها كما سنرى، فما بالك بمصطلحات مثل الحرفيم والكتابة المفاهيمية والشعارية والمقطعية والصائتية... على أننا بالتأكيد لن نعرّف إلا بما نحتاجه هنا في الوقت المناسب

لذكره⁽³⁾. وليس يعيننا هنا الاختلافات بين الباحثين في التعريفات ودقتها قدر ما يعيننا تحديد هذه المفاهيم بوصفها مدخلاً للحدوث عن أنظمة الكتابة وإشكالية التصنيف.

نعني بالنظام الكتابي Writing System الطريقة التي ينتهجها المتحدثون بلغة ما في كتابة لغتهم وتشمل إجمالاً كل الخصائص الكتابية التي تكتب بها تلك اللغة، وبصفة أدق فإن نظام الكتابة يصف الطريقة المنتظمة التي تحدد الروابط بين الوحدات الكتابية واللغة (Perfetti، 1999)، بحيث يمكن قراءتها واستعادة القول اللغوي دون تدخل من القائل (Daniels، 1996). تتضمن هذه الطريقة الاتجاه direction الذي تسير به الكتابة، ونوع الخط script، الذي بدوره يستخدم الحرفيات graphemes وهي الوحدات والعلامات الكتابية الصغرى سواء كانت من الحروف letters أو الحركات diacritics أو الأشكال characters أو الرموز البسيطة symbols أو الرموز المعقدة glyphs، كما تتضمن القواعد الإملائية orthography التي يستخدم بها هذا الخط لنظم هذه العلامات المقروءة ضمن النظام العام للكتابة. وقد يُستخدم النظام الكتابي أو الخط بإطلاق ويراد بأحدهما الآخر، غير أنهما عند التحديد والتجاور يعينان ما وصفتُ آنفاً.

وتأتي أهمية الدراسات التصنيفية لأنظمة الكتابة بوصفها أحد المباحث الرئيسة التي تساعد في فهم طبيعة الأنظمة الكتابية عامةً، وتقود إلى دراسة خصائصها في مراحل لاحقة. يلاحظ كولماس Coulmas (1996: ص 1368) ذلك في قوله:

«لقد اقترحتُ تصنيفات مختلفة للأنظمة الكتابية في الماضي، وليس ثمة شك في تطوير تصنيفات إضافية في المستقبل. الدراسات التصنيفية هي وسيلة لإيجاد نظام في حقل معقد وغير منظم. إنها مفيدة لكونها تشير إلى الأخطاء في دراسة اللغة والكتابة» في هذه الدراسة⁽⁴⁾، أحاول سبر المقاربات العلمية لتصنيف أنظمة الكتابة العالمية، لتتعرف على أهم الأصناف الكتابية والأسس النظرية والمنطقية التي تفسرها. وأستجلي لاحقاً الإشكالية التصنيفية التي شكلت جزءاً من اضطراب هذا الحقل العلمي بناء على نظرية أنظمة الكتابة التي قدمت لها، وأستكشف العلاقة بين التصنيفات وبيان أفضلها معرفياً ومنطقياً لوصف الأنظمة الكتابية، باعتبار التراكم الكلي لهذا المبحث العلمي تاريخياً.

١- نظرية أنظمة الكتابة

يتفق الباحثون في أنظمة الكتابة على أن المهمة الرئيسة للكتابة هي نقل المعنى المراد التعبير عنه في اللغة كما يفعل الكلام. ولكنهم يختلفون لاحقاً في طبيعة هذا النقل، فإما أن يكون النقل للفكرة ذاتها أو للنتائج عنها صوتياً؛ أي إما نقل الفكرة من خلال الرسم مثلاً، أو نقل الفكرة من خلال تحويل الكلام ذاته إلى رموز مكتوبة. وبعبارة مختلفة، يمكن أن نقول إن تحويل الفكرة إلى كتابة مباشرة يضع الكتابة في مرتبة مساوية للكلام باعتبارها ناتجاً وتعبيراً رئيساً إضافياً عن اللغة، وأما تحويل الكلام إلى كتابة فهي عملية ثانوية تعيد تحويل الناتج الكلامي إلى صورة مكتوبة، وبهذا فالكتابة فرع عن الكلام.

إذن فالتعبير الكتابي عن (الفكرة) في اللغة تحتل حالتين: (1) التعبير الكتابي بواسطة نظام يُتفق عليه يربط بين المفاهيم المعنوية والوحدات الصوتية كرسماً صورة للتاج ليدل على مفهوم الملك مثلاً، أو (2) التعبير الكتابي بواسطة نظام يربط بين الوحدات الصوتية والوحدات الصوتية كرسماً الحرف (ق) ليدل على صوت القاف. نشأت نظرية أنظمة الكتابة التي قامت على أكتاف العلماء السابقين مثل تايلر Taylor (1883)، وجيلب Gelb (1963)، وسْمُولِي Smalley (1964)، وهيل Hill (1967)، ودرينجر Diringer (1968) وغيرهم... وتطورت كثيراً في نهايات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، واكتسبت اهتماماً كبيراً تبعاً لما اكتسبته الكتابة عموماً من اهتمام مقارنة بالتجاهل السابق في الدراسات اللسانية. وخلال هذا التراكم العلمي الذي صاحب نمو الاهتمام بأنظمة الكتابة فقد تشكّل إطارٌ علمي لدراسة كم كبير من الأنظمة الكتابية في العالم، ومعرفة كيفية عملها وتفسيرها، ودراسة نشأتها، وتاريخها، وطرق التأثير والتأثير التي طرأت عليها، إلى غير ذلك من المباحث المهمة في هذا الحقل العلمي.

إن اختلاف الأنظمة ليس تابعاً لاختلاف اللغات⁽⁵⁾. ومن هنا فالكتابة في اللغة الثانية L2 writing مصطلح لساني مضلل. إننا إذا قارنا بين متعلم روسي لنظام الكتابة الصينية، ومتعلم إنجليزي لنظام الكتابة الألمانية مثلاً، فنحن أمام بون شاسع لاختلاف العمليات الذهنية واللغوية والمرجعية (الثقافية والاجتماعية) بين الحالتين.

ورغم هذا فهما يُعاملان في الدراسات اللسانية التي تهتم بالكتابة من وجهة نظر آلية مهارية معاملةً واحدة. ولذلك فإن الدراسات المقارنة المبينة على نظرية أنظمة الكتابة تفرّق بين ما هو تجاوز أو تشابه لغوي وما هو تجاوز أو تشابه إملائي (Cook and Bassetti, 2005). هذه واحدة من أخص خصائص نظرية أنظمة الكتابة التي تربط الكتابة بوصفها مهارة لغوية بالدرس اللساني التشريحي الدقيق لنظام اللغة سواء في اللغة الأولى أو الثانية.

ومن المهم إذن في هذا الإطار الذهني والنظري اللساني - الذي يرتبط فيه مفهوم اللغة بنظامها ونتاجها الصوتي - التفرُّق بين مفهوم اللغة على نحو ما وصفه دي سوسير ونظامها الكتابي. ونحن حينما نقول اللغة الأولى واللغة الثانية، فإننا نعني النظام الصوتي والصرفي والتركيبى والدلالي لكل منهما؛ ولكننا حينما نقول النظام الكتابي للغة الأولى والنظام الكتابي للغة الثانية، فإننا نعني الطريقة التي نكتب بها اللغة الأولى أو اللغة الثانية على الرغم من أن الطريقة قد تكون متشابهة للغتين مختلفتين. إذ يعبر الإنسان عن لغته بواسطة نظامها الصوتي الخاص، لكنه قد يكتب بنظام كتابي مُستعار من نظام آخر أجنبي بعيد أو قريب. إذ قد يشترك في النظام الكتابي (الخط ومصفوفة الحروف) أكثر من لغة، وقد تُكتب اللغة بنظامها المصمم لها، أو بنظام مستعار، أو قد لا يكون للغة نظام كتابي أصلاً. فالعربي مثلاً يتكلم العربية ويكتب بالحرف العربي، والفارسي يتحدث الفارسية ويكتب بالنظام المستعار من العربية، وقد لا يجد المتكلم طريقة يكتب بها لغته لأنها تفتقد إلى نظام كتابي. لا عجب، فنصف اللغات المعروفة تقريباً ليس لها نظام كتابي معروف (Simons and Fennig, 2017).

بإزاء ذلك فإنه يمكن للغة الواحدة أن يكون لها أكثر من نظام كتابي، كاللغة الصينية التي تكتب بنظامين: تقليديّ وحديث. وكذلك يمكن للنظام الكتابي أن يكون مشتركاً بين أكثر من لغة، كما قلنا. وعطفاً على هذا يمكن التوسل بهذا التقسيم لتثبيت هذا الفصل بين مفهومَي اللغة والنظام الكتابي:

1 - إذا توجهنا من اللغة المحددة ذاتها، كالصينية (المندرين) مثلاً، نحو الأنظمة الكتابية، فإننا نجد: النظام الكتابي الأول، والنظام الكتابي الثاني، والنظام الكتابي الثالث ... إذا وُجد أكثر من نظام كتابي واحد للغة بعينها.

2 - وإذا توجهنا (على عكس السابق) من النظام الكتابي المحدد إلى اللغات، فإننا نجد: نظام كتابة اللغة الأولى ونظام كتابة اللغة الثانية ونظام كتابة اللغة الثالثة... لشخص عربي يجيد لغتين إضافيتين كالإنجليزية واليابانية، ويجسن الكتابة بالعربية والإنجليزية واليابانية مثلاً.

ونتيجةً لهذا التقسيم، ينبغي الوعي بأهمية الفصل بين اللغة ونظاميها الذهني المجرد والصوتي الناتج من جهة، والنظام الكتابي أو الأنظمة الكتابية التي تكتب بها اللغة ذاتها، من جهة أخرى.

ينطوي مفهوم النظام الكتابي Writing System في هذه النظرية على الجمع بين الكلمتين ذاتهما «النظام» و«الكتابة». فهو مبحث لغوي لدراسة كل ما يشكّل نظاماً يستخدمه أصحاب لغة ما في كتابتها، وتشمل الدراسة هنا أجزاء النظام أو مجموع عناصره. ويخرج من ذلك أنظمة العلامات المستخدمة في الرياضيات والموسيقى مثلاً، لأنها أنظمة غير لغوية (Harris، 2009). ويمكن تعريف النظام الكتابي بأنه: «مصنوفة العلامات الظاهرة المستخدمة لتمثيل وحدات في اللغة بطريقة منتظمة» (Coulmas، 1999: ص 560). وبهذا فالنظام الكتابي هنا مأخوذ بالمعنى العام المرادف للخط والكتابة في أي لغة. ويتضمن ذلك الخصائص الكتابية كالاتجاه والحروف والنقط، والخصائص الإملائية كالاتصال أو الانفصال بين الحروف، والخصائص التمثيلية كتتمثيل الأصوات اللغوية بالحروف أو تمثيل الأفكار بالأشكال.

ومن ناحية إستمولوجية، فالنظام الكتابي ذو كيان مجرد مستقل كما يقول Neef (2015)، موازٍ للمفهوم الثنائي الديسوسيري المجرد للغة langue والمقابل للكلام parole، فالنظام الكتابي بوصفه المجرد يمكن ملاحظته فقط من خلال استخدامه (الكتابة) بواسطة الكُتّاب بلغة محددة.

إن تعلم نظام الكتابة في اللغة الأولى ينقل الإنسان من الأمية إلى القارئية (انظر التعليق على هذا المصطلح في المقدمة)، بينما ينقله تعلم نظام الكتابة في اللغة الثانية إلى ما يمكن تسميته تعدّد القارئية، وهو - كما أشرت سابقاً - أمر مختلف عن التعدد اللغوي. ففي حين يشير الأخير إلى تعدد اللغات (العربية والإنجليزية والفرنسية

مثلاً) في ذهن المتعلم، فإن الأول يبحث في دخول أنظمة كتابية مختلفة كالكتابة بالرموز الصينية والحروف العربية والأشكال الهندية. إذ يؤثر هذا التعدد كما يرى Cook and Bassetti (2005) في ثلاثة جوانب: أولها لغوي صرف وهو أن القراءة والكتابة - في النظامين أو الأنظمة المختلفة - قد يتغيران بسبب دخول نظام جديد إلى عقل المتعلم، فيؤثر في سرعة الكتابة أو القراءة مثلاً. وثانيها فوق لغوي وهو أن الوعي الصوتي والتعرف الطبيعي على الكلمة يتحول مع دخول كل نظام مختلف؛ إذ من المعروف أن القراءة تتجاوز التقسيم الحرفي/الصوتي في كل كلمة إلى إدراك صورة الكلمة وصوتها ثم معناها، ومع اختلاف النظام الكتابي واختلاف طريقة ترميز الأصوات فإن هذا الإدراك المنتظم يتأثر بلا شك. وثالثها غير لغوي تماماً كالاتجاهية حيث يقرأ متعددو القارئية (الذين يكتبون بأنظمة كتابية مختلفة) اللوحات وينظرون إلى العالم والمشاهد بشكل يختلف عن وحيد القارئية (الذين يكتبون بنظام كتابي واحد) خاصة إذا كانت الأنظمة الكتابية التي تعلمها متعددو القارئية ذوات اتجاهات مختلفة. بل لقد أثبتت العديد من الدراسات مثل Al-Rasheed وآخرون (2014) و Eviatar (1995) و Chan and Bergen (2005) وغيرها متغيرات إدراكية عامة بين متعددي ووحيد القارئية.

ثمة اعتقاد قديم منسوب إلى أرسطو أن الكتابة ما هي إلا ظل للكلام، ولولا الكلام أساساً لما كان للكتابة وجود، فوجودها إذن ثانوي. غير أن نظرية أنظمة الكتابة تنقض هذا الادعاء الذي لا يعتبر الكتابة إلا انعكاساً ميكانيكياً للغة المنطوقة، من خلال فهم الحفريات التشريحية للتفاعل المعقد الموجود بين الكلام والكتابة. وتأتي آراء كولماس Coulmas (2003: ص 7-17) تحديداً هنا لتكشف العمق الذي تنطوي عليه الأنظمة الداخلية لأي نظام كتابي بحيث يشمل المعنى اللغوي من جهة والوحدات الصوتية من جهة أخرى. ويتقد كولماس بشدة من يعدّ الكتابة بهذا المفهوم المعقد انعكاساً بسيطاً للصوت المنطوق أو ما يُسمى «الصوت الظاهر»، ويضيف أنه يجب تفسير هذا النظام بالتفاعل المعقد لا الانعكاس البسيط. حيث تؤثر الكتابة أحياناً في الكلام ويغير المكتوب من اللغة المنطوق منها كما هو مشاهد من خلال انتشار الكتابة.

إن أنظمة الكتابة - في إطار هذه النظرية - حتى الأنظمة عالية الصوتية⁽⁶⁾ التي تنقل أغلب الوحدات الصوتية في اللغة المنطوقة إلى الشكل المكتوب، تشتمل من جهة على أكثر مما هو تمثيل للأصوات المنطوقة، بينما لا يمكن لأي نظام كتابي في الحقيقة أن يعبر عن اللغة المنطوقة بدقة متناهية، من جهة أخرى؛ بل حتى الأنظمة الكتابية المصنوعة لأغراض خاصة، كالنظام الأصواتي العالمي IPA لا يمكن له مهما حاولنا تحديثه وتطويره الإلمام بكل الخواص الصوتية والفيزيائية في اللغات البشرية.

كما رأينا فإن نظرية أنظمة الكتابة أرسى إطاراً في تناول النصوص والخطوط والتفريق بين اللغات وخطوطها وتصنيف الأنظمة الكتابية بمنطلقات نظرية ومقاربات علمية مختلفة، وطرح أدوات لدراسة خصائص الخطوط الكتابية وأجزائها في مقابل الدراسات الصوتية للغات، ووضعت قواعد وتعريفات لمصطلحات هذا الحقل العلمي كالمسافة والحرف والشكل والرقم والخط والكلمة والترقيم والتنقيط والتشكيل... الخ، ولفتت النظر إلى أهمية دراسة هذا المجال اللغوي ففتح لدينا عددٌ من الدراسات المتينة والموسوعات المتميزة في المحارف والخطوط والنقوش والكتابات وتاريخها وأنواعها وتصنيفها وبنيتها واستعارتها وتغيرها. وبرغم أن هذا الإطار النظري لم يستقر كالأستقرار العلمي في الدراسات الصوتية بعدُ نظراً لحدائثة الاهتمام به، إلا أنه فتح المجال للدارسين والباحثين ليجهدوا في توثيق مصطلحاته وتجويد نتاجه، خاصة بعد نشر عدد من الموسوعات الرصينة في هذا المجال، ومنها على سبيل المثال مثل موسوعة أوكسفورد للغويات العربية (Owens، 2013) وموسوعة بلاكويل لأنظمة الكتابة (Coulmas، 2014) ومشروع نظام الكتابة العربية لدى مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية (مركز خدمة العربية، 2018).

2 - مقاربات التصنيف العلمية لأنظمة الكتابة

بوجه عام يمكن وصف وتفسير الأنظمة الكتابية كلها إما معنوياً أو صوتياً أو بهما معاً (Coulmas، 2003). غير أننا نلاحظ من خلال مراجعة الدراسات التصنيفية لأنظمة الكتابة عموماً أن العنصر الصوتي عاملٌ رئيس في تحليل العلاقة بين الوحدة الصوتية في اللغة وتمثيلها الصوري (العلامة/ الرمز/ الحرف). هذه العلاقة الصوتية-

الرمزية تفسّر تدريجياً اختلافات التصنيف الذي انطلق منه الباحثون، بحيث شرعوا في تصنيف الكتابة بناء على مبدأ ذي فرعين: النظام الكتابي المعتمد على الصوت، والنظام الكتابي المعتمد على المعنى؛ أي إما بالتفسير الصوتي أو بالتفسير المعنوي، كما أشار كولماس. وأحياناً يكون النظام كما سنرى مختلطاً بين هذين الفرعين.

وتأسيساً على هذا المبدأ فقد ظهرت نظرية الشفافية الإملائية (Katz and Frost، 1992) التي تهتم بالدرجة التي يكون عليها النظام الكتابي بين الشفافية transparent من جهة، والإعتماد opaque من جهة أخرى. ويمكن القول ببساطة إنه كلما كان النظام الكتابي أقرب إلى الاعتماد على الصوت المنطوق من الاعتماد على المعنى المفهوم في التمثيل الكتابي، كان النظام أكثر شفافية. في حين تميل الأنظمة إلى الإعتماد كلما كانت أقرب إلى الاعتماد على المعنى واللواصق الصرفية الجاهزة بدلاً من نقل الصوت ووحداته. وبطبيعة الحال فإن العلاقة بين الصوت المنطوق والصورة المكتوبة في الأنظمة الشفافة تكون أكثر ثباتاً وتماسكاً ووضوحاً في كلتا العمليتين: التشفير (الكتابة) وفك التشفير (القراءة).

إن تحديد مدى شفافية النظام الكتابي ودرجته أمر مهم في التصنيف لأنه يفسر أولاً بشكل أسهل كيف يعمل النظام الكتابي، ويضع ثانياً النظام الكتابي في صنفه الصحيح بناء على ذلك التفسير. وليس يعني هذا أن لدينا درجتين فقط من الشفافية والإعتماد هما طرفا النقيض، بل ثمة درجات بين هذين الطرفين لا يمكن تحديدها على وجه الدقة، لكن يمكن جمع عدد من الأنظمة في درجة يطلق عليها الأنظمة الشفافة أو الأقل شفافية أو المعتمة أو الأكثر إعتماداً وهكذا... (Cook and Bassetti، 2005). وبهذا فإن الكتاب/ القراءة في نظام كتابة لغتهم الأولى يدركون الوحدات اللغوية الممثلة كتابياً بشكل مختلف عما يفعله مستخدمو أنظمة كتابية أخرى هي على درجات شفافية مختلفة. فالأنظمة الكتابية التي توظف أشكالاً متشابهة للإشارة إلى أصوات بذاتها حسب اختلاف السياق يمكن اعتبارها معتمة، فيما تعمل الأنظمة الكتابية الشفافة بطريقة أكثر ثباتاً وأقل تجزئةً واشتراكاً (Coulmas، 1996). وهكذا كلما كانت تلك العلاقة الصوتية-الحرفية أقل ثباتاً واستقراراً، كان النظام الكتابي أقل شفافية.

هذه الفكرة ذاتها المتصلة بالعلاقة المشدودة أو المرتحية بين الصوت المنطوق وتمثيله الكتابي، التي تحدثنا عنها، كانت المرتكز الذي دفع بنظرية أخرى للظهور: وهي تصنيف الأنظمة الكتابية إلى أنظمة كاملة وأنظمة قاصرة. إذ ثمة ادعاء عريض في عالم أنظمة الكتابة بضرورة وجود «الفصل العظيم» بين الأنظمة الألفبائية (الصوتصورية = المعتمدة على الأساس الصوتي في التمثيل الكتابي) وغير الألفبائية، بحيث يشير زمن ذلك الفصل إلى «الانتقال» نحو عصر الكتابة الحديثة (-Diring er، 1962؛ Gelb، 1963). وبطبيعة الحال، فقد فتح ذلك الادعاء الباب أمام نزاع مستمر بين العلماء قاد إلى التساؤل عن ماهية نظام الكتابة الجيد، وما الذي يجعله جيداً (Smalley، 1964؛ Daniels & Bright، 1996؛ Coulmas، 1989؛ Burnaby، 1998). كما قاد ذلك أيضاً إلى إجراء عدد كبير من الدراسات الفاحصة حول أثر نوع النظام الكتابي في تعلم القراءة والكتابة، وكيفية تصور الكلمات في سياقات اللغتين الأولى والثانية (انظر مثلاً Olson، 1977؛ Ryan & Meara، 1991؛ Stubbs، 1980؛ Taylor & Olson، 1995؛ Vaid؛ Abu-Rabia، 1997؛ Cook & Bassetti، 2004؛ Cook، 2004؛ & Gupta، 2002؛ Sassoon، 2004؛ Mei et al.، 2013، 2005).

ما يهمننا هنا على أية حال هو تأكيد القضية الرئيسة: أن تلك العلاقة الصوتية-الرمزية هي التي بُنيت على أساسها مقاربات التصنيف العلمية وما اكتنفته من النقاشات الطويلة المختلفة في هذا الحقل من الدراسات اللسانية، وهو ما أفضل القول فيه بتقسيم المقاربات التصنيفية لأنظمة الكتابة إلى مقاربات أولية بديهية، ومقاربات متأخرة أكثر علمية وتعقيداً.

2-1 - المقاربات البسيطة - مقاربات الأوائل

إن تأسيس التصنيف العام لأنظمة الكتابة الذي أشرنا إليه: النظام المعتمد على الصوت (أو النظام الصوّتصوري phonographic writing)، والنظام المعتمد على المعنى (أو النظام الشعاري logographic system)، لم يكن مبنياً على توافق مطلق بين الباحثين.

يقسّم ماونتفورد Mountford (1996) مثلاً الأنظمة الكتابية إلى خمسة

أقسام: 1) الكتابة الإملائية Orthography وهي الكتابة العادية المنتشرة في أغلب المجتمعات المتحضرة. 2) الاختزال Stenography وهي الكتابة المصممة خصيصاً لأغراض الاختصار والسرعة، كتلك المعمول بها في المحاكم الغربية قديماً لتسجيل ما يدور في المحاكمة على وجه سريع. 3) الكتابة التشفيرية Cryptography وهي مصممة لإخفاء ما تكشفه الكتابة الإملائية للجميع، بحيث لا يقرأ الكتابة الرمزية إلا من يملك الرمز والمفتاح الذي يحوّل به هذه الكتابة إلى نص مفهوم. 4) الكتابة التعليمية Paedography وهي كتابة مناسبة لمرحلة تمهيدية تعليمية سابقة لتعليم الكتابة العادية، وكانت موجودة في الأنظمة التعليمية الغربية في القرن التاسع عشر. 5) الكتابة التقنية Technography ومهمتها علمية كالكتابة اللسانية المستخدمة لوصف الأصوات وفي التحليل اللساني. ومن الواضح أن هذا التصنيف وظيفي بحث، فيما تركز التصنيفات الحديثة على النوع الأول (الكتابة الإملائية) تحديداً.

من الواضح في هذا التصنيف بناؤه على أساس وظيفي لا تشريحي لآلية عمل النظام ذاته لغوياً. لكن بغض النظر عن وجود هذه التصنيفات الأولية والمختلفة للأنظمة الكتابية التي بُنيت على أسس أخرى وما زالت قيد النظر العلمي مثل تصنيف ماونتفورد (Mountford، 1996) السابق ذكره، وتصنيف هاس (Haas، 1976) المبني على الثنائيات الثلاث، فإن غالب أدبيات أنظمة الكتابة تركز على العلاقة بين اللغة المنطوقة والرموز الكتابية مُنطلقاً إلى مقاربات تصنيفية صحيحة (Burnaby، 1998).

وبمراجعة هذه الأدبيات يتبين أن أقدم التصنيفات كان على يد تايلر Taylor (1883) الذي قدم تصنيفاً من خمس مراحل هي: 1) الصُّور: بالرسوم التي تحكي قصة أو تنقل رسالة، 2) الرموز التصويرية: التي تضع أيقونة لمفهوم متكامل لا لكلمة ولا لحرف واحد فقط، 3) العلامات اللفظية: التي توفر رمزا واحداً لكل كلمة كاملة ذات معنى كالكتابة الصينية، 4) العلامات المقطعية (الصوتية): التي يشير كل شكل فيها إلى مقطع صوتي كالكتابة اليابانية والشيروكية الهندية الأمريكية، 5) العلامات الأبجدية: التي توفر حرفاً واحداً في الغالب لكل صوت منطوق في اللغة. ويصف دي فرانسيس DeFrancis (1989) هذا التصنيف بكونه نموذجاً تطورياً متمركزاً

في قسمين رئيسيين: القسم التصويري ideograms، ويشمل المراحل الثلاث الأولى، والقسم الصوتي phonograms ويشمل المرحلتين الأخيرتين. وبهذا التوصيف الذي شرحه دي فرانيسيس، فإنه يمكن لنا أن نعدّ هذا التصنيف التحليلي اللغوي الذي قدمه تايلر مبدأً أولياً وتأسيساً حقيقياً لذلك التقسيم الرئيس لأنظمة الكتابة، بين الأنظمة المعتمدة على الصوت (الصَوْتُصُورِيَّة phonographic writing)، والأنظمة المعتمدة على المعنى (الشعارية التصويرية logographic system)، حيث أصبح تصنيف تايلر مؤثراً وملموساً فيما جاء بعده من التصنيفات.

ولم يختلف تصنيف هيل Hill (1967) ومعاصريه كثيراً عن أطروحة تايلر القديمة. فدرينجر (Diringer، 1962) يؤكد فرضية «الفصل العظيم» بين الكتابة القاصرة البدائية والكتابة المتحضرة الكاملة ويبيّن تصنيفه الخاسي على هذا الأساس؛ حيث يرى أن الأنظمة الكتابية تنقسم إلى: الأنظمة الصورية pictogra-phy، والأنظمة المفاهيمية ideography، والأنظمة الانتقالية التحليلية، والأنظمة الصوتية، والأنظمة الألفبائية. وفيما ينتقده هيل Hill بخلط الأنظمة الصوتية مع غيرها، فإنه يطرح تصنيفاً مكوناً من ثلاثة أصناف: أنظمة جزئية، وأنظمة معنوية (شعارية)، وأنظمة صوتية.

لكن جيلب Gelb (1963) كان أول من عرض تصنيفاً لسائياً منطقياً، ذلك الذي يسمى الآن تصنيف Gelb الغائي (Sproat، 2000؛ Penn & Choma، 2006)، لكونه يبحث فلسفياً ويحتاج في أهداف الأنظمة وغاياتها لا في وظائفها ولا أسبابها. ويرى جيلب أن الكتابة قد تطورت من الكتابة الصورية pictogra-phy (وهو هنا يجمع بين تصنيفين في المقاربات السابقة هما الكتابة الصورية pic-tography، والأنظمة المفاهيمية ideography، في تصنيف واحد)، إلى الكتابة الشعارية logography (وهي ذاتها الصنف الثالث الذي سماه تايلر العلامات اللفظية)، إلى الكتابة المقطعية، إلى الكتابة الألفبائية أخيراً حيث يكون لكل صوت في اللغة تمثيل كتابي (حرف أو شكل) واحد تقريباً. وبسبب إيهانه بفرضية «الفصل العظيم» أيضاً، فإن الكتابة الصورية (القسم الأول) كما يرى جيلب لا تدخل في مفهوم الكتابة اللغوية بل هي تصوير رسومي بحت ولا علاقة لها باللغة. ومن هنا

فقد أصبح تصنيف جيلب للأنظمة الكتابية ثلاثياً بعد استبعاد الكتابة الصورية -pic.tography.

خضعت مقارنة Gelb الثلاثية (نظام الكتابة الشعاري (الصوري)، والمقطعي، والألفبائي) إلى الانتقاد الشديد لكونها منتظمة تراتيباً بشكل يغيّر الطبيعة التي تجري بها التغيرات اللغوية التاريخية، بالإضافة إلى كونها دراسة غائية بدلاً من كونها بحثاً مُسَبَّباً (Mattingly، 1985؛ Daniels، 1996). ويرى جيلب في دراسته التي سماها جراماتولوجي Grammarology، أي «دراسة البنية والتاريخ الكتابي» أن الأطوار الكتابية بدأت مبكراً جداً منذ الفن القصصي السيميائي semasiography، إلى الرمز، ثم نظام الكتابة الصورية، وأن الرمز الصوتصوري (الذي يحوّل الصوت المنطوق إلى شكل كتابي) ظهر مؤخراً ليقود إلى التحويل الصوتي الذي أتاح قدوم الأنظمة المقطعية ثم الأنظمة الألفبائية المتطورة. ولم يعتبر الكتابة الصورية pictography بل قدرها نوعاً مما «قبل الكتابة» يشكل البداية والأصل الذي ظهرت منه الكتابة المتطورة. وتؤكد نظريته أن الكتابة في تطور مستمر دائماً من الكتابة الشعارية التي تتبعها مراحل من التطور الكتابي بذلك الوصف والترتيب الذي ذكرناه. غير أن نظريته هذه لم تلبث أن ثبت خطؤها (DeFrancis، 1989؛ Daniels and Bright، 1996).

2 - 2 - المقاربات المعقدة - مقاربات المتأخرين

لقد اتسمت المقاربات التصنيفية عموماً منذ تايلر (1883) حتى جيلب (1963) - أي على مدى ثمانين عاماً تقريباً - بالتشتت من جهة والسطحية من جهة أخرى. وبرغم المؤثرات السابقة وأهمها تأثير تايلر وأطروحته التصنيفية، فإن عمل جيلب Gelb (1963) كان من غير شك مميّزاً بحيث شكّل البناء النظري لتصنيف أنظمة الكتابة علمياً وأصبح النموذج الذي احتذاه الباحثون من بعده في مقارباتهم التصنيفية لأنظمة الكتابة.

يوظف سامبسون Sampson (1985) مثلاً تصنيف جيلب - رغم معارضته لفرضيته الغائية التطورية - ليضع في تصنيفه نوعاً جديداً من أنظمة الكتابة تحت فئة «الكتابة الحقيقية» 'glottographic writing' - التي يعني بها الكتابة

الصوتصورية (phonographic) على نحو ما وصفنا سابقاً - كمعادل للكتابة السيميائية semasiography، ليفصل بين الرمز اللغوي والرمز المفاهيمي. وهو هنا يدعم جيلب في التفريق بين الكتابة الصورية والكتابة الحقيقية رغم إدراجها في التصنيف الذي يقترحه. وكانت إحدى أهم الإضافات التي قدمها سامبسون فئة «الكتابة المخصّصة» featural writing التي تتمظهر فيها الرموز لتوافق نمطاً صوتياً مخصصاً كنظام الكتابة الكورية المسمى هانكول Hangul.

ومع تشكيك سامبسون - تبعاً لجيلب - في وجود الكتابة السيميائية تحت تصنيف الكتابة أساساً، فإن دي فرانسيس DeFrancis (1989) يرفض هذا النوع من الكتابة ولا يؤمن بوجودها منطقياً، حيث يضع تصنيفه لأنظمة الكتابة «الصور» مع فرعين أحدهما: الكتابة، والآخر: غير الكتابة، في إشارة صريحة إلى أن الكتابة السيميائية هي باختصار نوع غير كتابي لا يدخل ضمن تصنيف الكتابة من حيث المبدأ. ويُدرج دي فرانسيس، أسفل فرع الكتابة، ما يُسمى لغوياً بالتحول الصوتي 'rebus symbols' (تحويل الرمز من دلالة صورية إلى دلالة صوتية)، وهذا النوع يقود بدوره إلى الأنظمة المقطعية، ثم إما إلى الأنظمة المقطعية الخالصة 'pure sylabic' التي تقوم على التمثيل الصوتي مقطعياً بحيث يتضمن الشكل الكتابي مقطعاً صوتياً مكوناً من صائت واحد V أو صامت وصائت CV، أو إلى الأنظمة الصوامتية 'consonantal' التي تشير في غالبها إلى الصوامت لا إلى الصوائت. ويقود ذلك أيضاً إلى فروع أخرى من ضمنها الأنظمة الألفبائية. يبدو لنا تصنيف دي فرانسيس هذا معقولاً ومتميزاً مقارنة بالتصنيفات السابقة، ذلك أن تضمينه فرعاً ووصفاً خاصاً للأنظمة الصوامتية كان عملاً جليلاً. إذ يرى أن الأنظمة الصوامتية تشمل الخطوط الصوامتية الخالصة كالعربية، والخطوط ذات «المعنى أو الشعار المضاف إلى الصوت» كالمصرية الهيروغليفية. وتؤكد نظريته أن الخطوط الصوامتية الخالصة ليست أنظمة مقطعية ولا ألفبائية.

ينتقد دانيالز Daniels (1990، 1996) تصنيف جيلب الثلاثي التقليدي الأنف ذكره لبساطته وسطحيته وتعسفه التاريخي، ويقترح تصنيفاً أكثر شمولية بحيث يضيف نوعين آخرين من الأنظمة الكتابية: الأبجدي abjad، و أبوجيدا

abugida. أما الأول فهو اسم مرادف أكثر دقة للنظام الصوامتي، وأما الثاني فيفترق فيه دانيالز بين النظام المقطعي الذي يضع شكلاً كتابياً مقابل المقطع الصوتي، كما مر بنا، والنظام الذي يضع شكلاً متكاملًا واضحاً لازماً لتمثيل مقطع صوتي محدد بكونه صامتاً يتضمن صائناً محددًا CV مثل الحرف <ϕ>/qi/ والحرف <ϕ>/qa/ في الكتابة الأثيوبية. ويعني دانيالز بالشكل المتكامل الواضح اللازم نفي التشابه مع النظام الصوامتي الذي يضع حرفاً ثابت الشكل للصامت، بينما ينوه للصائت القصير التالي بواسطة الحركات الإضافية الاختيارية المتغيرة كحرف القاف <ق>/qi/ و<ق>/qa/ في النظام العربي. في مقترحه التصنيفي لأنظمة الكتابة، يعرض دانيالز ست فئات:

- 1 - النظام الشعارمقطعي logosyllabary وهي تسمية جديدة يراها دانيالز أدق من الاصطلاح الأشهر «الشعاري»، لأن تلك الأنظمة تتضمن - إلى جانب ترميز الكلمة بشكل ذي معنى - مقاطع صوتية متناغمة مع الأشكال أحياناً، كالكتابة الصينية.
- 2 - النظام المقطعي syllabary الذي تشير أشكاله إلى مقاطع صوتية متكاملة بذاتها، كالكتابة اليابانية مثلاً.
- 3 - النظام الأبجدي abjad الذي يمثل الصوامت بدقة ويهمل أو يتساهل في تمثيل الصوائت، كالكتابة العربية والعبرية.
- 4 - النظام الألفبائي alphabet الذي يمثل الصوامت والصوائت على حد سواء، كالكتابة الإنجليزية.
- 5 - النظام الأبوجيدي abugida الذي يقوم على تمثيل الصوامت مضافاً إليها صوائت محددة بأشكال ثابتة لكل مقطع صوتي، كالكتابة الأثيوبية وبعض الكتابات الهندية.
- 6 - نظام الكتابة المخصص Featural الذي لا يمكن تصنيفه ضمن أي من الفئات السابقة، وتشمل هذه الفئة نظاماً واحداً هو النظام الكوري للكتابة الذي يمثل كتابياً جميع عناصر المقطع الصوتي في اللغة الكورية بكل صوامته وصوائته فيما يشبه وحدة من وحدات الأشكال الصينية للكتابة.

هذه المعمارية التصنيفية التي قدمها دانيالز تبدو متسقة مع ما طرحه دي فرانسس في اهتمامه بأظْهر خصائص الكتابة السامية في جانب، وفي الجانب الآخر يبدو دانيالز متفقاً مع جوفري سامبسون في وضع فئة خاصة للأنظمة المخصصة.

عملت Faber (1992) على تعقب التطور التاريخي للكتابة الألفبائية، وخرجت بأطروحة ذكية متعددة الأبعاد. جاء تصنيفها للأنظمة الكتابية نتيجة لنظام تحليلي يمر من خلال أربعة قياسات/ أبعاد لكل نظام من الأنظمة الكتابية وهي: 1 - الشعارية مقابل الصوتصورية، 2 - التمام مقابل القصور، 3 - المقطعية مقابل الهجائية، 4 - الانتظام مقابل العشوائية. ونتج من تحليلها لعدد من الأنظمة بواسطة هذه القياسات الكمية لكل بُعد منها خمس فئات: الأنظمة الشعارية، والأنظمة الألفبائية، والأنظمة القاصرة، والأنظمة ذات الترميز المقطعي، والأنظمة ذات الترميز الهجائي. من خلال هذه الأطروحة متعددة الأبعاد، ترى فابر أن تصنيفها هذا يُعرّف الأنظمة الألفبائية - على سبيل المثال - بأنها الأنظمة الصوتصورية الهجائية المنتظمة شبه التامة، وهذا فإن غالب الأنظمة الرومانية تدخل في هذا الصنف، بيد أن الأنظمة السامية تخرج منه لأنها ليست ألفبائية بسبب نقصان ترميزها للصوائت (Faber، 1992: ص 116).

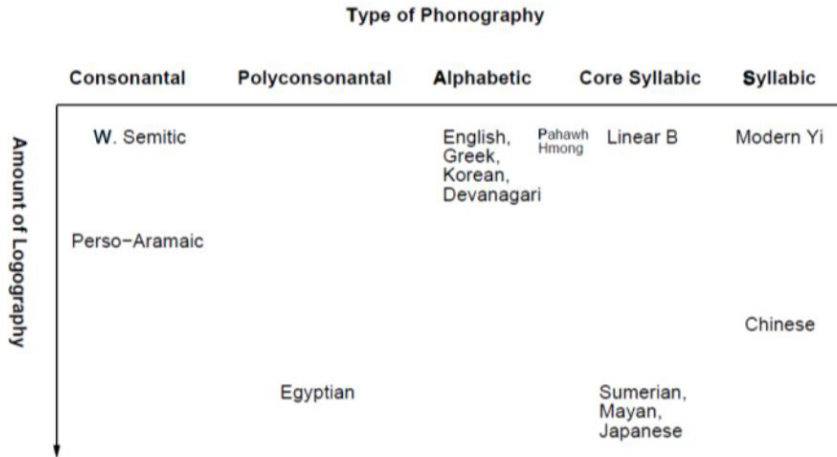
وبالرغم من أن أطروحتها هذه تبدو رصينة تفصيلية مبنية على التصنيف متعدد الأبعاد، فإنها أوجدت إشكالية أكبر، كتعريفها الضيق مثلاً للألفبائية (Joyce and Borgwaldt، 2011). وفوق هذا، جعلت البعد الثاني التمام/ القصور ضمن تصنيفها انطلاقاً من فكرة تطور الأنظمة التي بدأها السابقون في مقارباتهم التاريخية. ومن هنا فإنها صنفت الأنظمة السامية مثلاً ضمن فئة الأنظمة القاصرة، وهو وهم غير جديد. ومنبع الإشكالية/ الوهم في الحقيقة من أمرين: الأول مقارنة Gelb التطورية التاريخية ومركزيتها الغربية التي سبق الحديث عنها تفصيلاً في الفصل السابق، والتي انتقدها عدد من العلماء والباحثين في هذا المجال وعدّوها نظرة ضيقة متحيزة مبنية على الكمال الكتابي الغربي المنطلق من الحضارة اليونانية، وقد ثبت خطأ ذلك تاريخياً وعلمياً كما أشرنا؛ والثاني اعتبار استبعاد وحدات صوتية معينة من التمثيل الكتابي كالصوائت القصيرة في الأنظمة السامية قصوراً كتابياً.

ولذا يحاجج Coulmas (2003, p. 113) مثلاً أنه يمكن إطلاق وصف «القصور» على أنظمة الكتابة السامية فقط عندما نعتقد فعلاً أن اللاتينية أو اليونانية

هي المثل الأعلى للكتابة الهجائية. وعلى كل حال فلا يقول أحد من الباحثين المعاصرين بأن اليونانية وما بعدها من الأنظمة الهجائية هي الكتابة الكاملة. وبافتراض أن النظام يمثل كتابياً ما ينبغي تمثيله بالنسبة إلى مستخدميه - وهو الصوامت في حالة الأنظمة السامية - فإنه إذن يؤدي مهمته الكاملة، ولا ينبغي والحالة هذه أن يُعدّ نظاماً قاصراً أو ناقصاً (Ratcliffe، 2001). ويعود كولماس (2003) ليؤكد أن جميع أنظمة الكتابة الصوتتصورية تتجاهل عدداً كبيراً من العناصر الصوتية، ولذا فإن استبعاد وحدات صوتية من التمثيل الكتابي مسألة تتعلق بمقدار الحذف والتجاهل في الترميز الكتابي، وليست مسألة قصور في النظام.

وإذن، فإن «قصور أنظمة الكتابة» وصف يحتاج إلى إعادة تعريف (Ratcliffe، 2001)، لأن ما يُوصف عموماً وخطأً بالنظام القاصر لم يكن أبداً قاصراً لدى مستخدمي هذا النظام، كما ينبّه كولماس (2003، ص 126).

وبينما لم ينجح تصنيف فابر متعدد الأبعاد في إقناع الباحثين بتبنيه بسبب إشكالات تتعلق بتعريف تلك الأبعاد، فإن سبروت Sproat (2000) يقترح تصنيفاً مشابهاً مثيراً للاهتمام. إذ بنى تصنيفه على بُعدين فقط هما: البعد الصوتتصوري والبعد الشعاري. وكما هو موضح في الشكل 1 أدناه، فإن سبروت يصنف الأنظمة الكتابية وفقاً للبعدين المذكورين في خصائص كل نظام منها.



الشكل 1 تصنيف Sproat's (2000) للأنظمة الكتابية

وينتج عن تصنيف سبروت (2000) ثنائي البعد خمسة أصناف: الأنظمة الصوتية كالمسامية والأرامية، والأنظمة المختلطة (الصوامت-شعارية) كالنظام المصري الهيروغليفي، والأنظمة الألفبائية كاليونانية والإنجليزية، والأنظمة المقطعية التامة كاليابانية والسومرية، وأخيراً الأنظمة المقطعية كالصينية.

من الواضح تأثر سبروت بتصنيف دي فرانسس (1989) خاصة فيما يتعلق بالتفريق بين الأنظمة الصوتية وما يشبهها من الأنظمة المختلطة. وعلى أن تصنيف سبروت ثنائي البعد هذا يبدو إبداعياً، فإن قياس مقدار الشعارية في النظام الكتابي ليس سهلاً كما يبدو (Penn و Choma، 2006). ولذا فإن الدرجة التي يبني عليها سبروت تصنيفه في المحور العمودي (الشعاري) تحتاج إلى إعادة نظر. كما أنه لم يذكر ما إذا كان في الأنظمة الألفبائية ما هو أقل صوتياً وأكثر شعارياً بحيث يُذكر على ذات المحور.

على كل حال، فإن تصنيف سبروت لم يكن أول تصنيف متعدد الأبعاد لأنظمة الكتابة، بل سبقه تصنيف فابر الآنف الذكر بخلاف ما يعتقد Penn and Choma (2006). وإذا كان العقد الأخير في الألفية الميلادية الماضية قد حفل ببعض التصنيفات متعددة الأبعاد خاصة فيما بُني منها على التقسيم العام الصوتي/الشعاري، فإن القرن الجديد أتى بمقاربات تميل إلى تصنيفات أقل تعقيداً، إذ يبدو من هذا الاستقراء أن معظم الباحثين في أنظمة الكتابة قد فضل التقسيم الشجري لا متعدد الأبعاد.

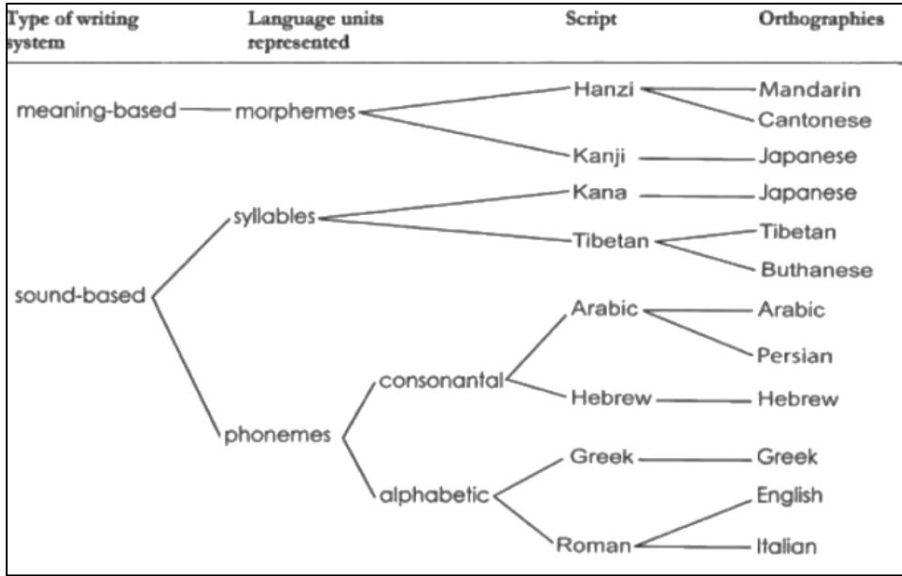
يرى روجرز Rogers (2005) التفريق بين خمسة أنواع من أنظمة الكتابة ضمن فرع الكتابة الصوتية، هي: الكتابات الأبجدية، والألفبائية، وأبوجيدا، والصائتية moraic، والمقطعية. ورغم الشبه الذي يبدو عليه تصنيف روجرز هذا بتصنيف دانيالز Daniels (1990، 1996) السابق ذكره، فإن الفرق بينهما إضافة الكتابة الصائتية التي تميز بها روجرز. وهو تفريق دقيق بين الأنظمة المقطعية التي تمثل المقطع الصوتي كاملاً في الكتابة، وأنظمة أبوجيدا التي تمثل صامتاً + صائتاً محددًا، ليخرج روجرز بالنظام الصائتي الذي يمثل (أي يسجل كتابياً) وُحيدات المقطع الصوتي morae، بحيث يوفر النظام الصائتي رمزاً لكل وُحيدة صوتية mora. وتتكون هذه الوُحيدة من أجزاء نووية صوتية تقيس النبر وتوقيت

الصوامت والصوائت داخل المقطع الواحد syllable. هذا النظام الكتابي الصائتي يراعي إذن تراتبية المقطع الصوتي داخلياً ومكوناته النغمية tone بدقة تفوق تمثيل النظام المقطعي الذي يسجل المقطع الصوتي عموماً، وهو بهذا ينقل الكتابة اليابانية من النظام المقطعي إلى النظام الصائتي.

وبرغم هذا التفريق الدقيق في أطروحة روجرز فإنه لم يكن أول من تحدث عن هذا النظام. بل كان راتكليف (2001) مثلاً قد أشار إلى أن العربية يمكن أن تُصنّف في النظام الصائتي للاختلاف في طول الصوائت (المدود) بين وحيد الوحيدة كتمثيل الصائت القصير في الحركة التي تتلو حرف القاف <قَ / qa / ، وثنائي الوحيدة كتمثيل الصائت الطويل في الألف التي تأتي بعد القاف في <قال > / qa: / وثلثي الوحيدة كتمثيل الصائت الأطول في الألف التي تأتي بعد <دابة > / da::bbah / . على أن إضافة روجرز كانت أهم في شمولها ووضوحها مقارنة بما طرحه الباحثون من قبله. وبإزاء ذلك فإن روجرز قد استبدل بالبُعد الثاني لدى سُبروت (وهو المقدار الشعاري amount of logography)، قياس مقدار الاعتماد على المعنى morphography في النظام الكتابي، بحيث يكون مصطلحاً أدق لقياس مدى الارتباط المعنوي باللغة بديلاً للصوتي، وهو ما يعود بنا إلى الشفافية الإملائية (Borgwaldt & Joyce، 2013). ولا شك أن هذه لفظة ذكية من روجرز تجاه تنظيم المصطلحات وتدقيقها في هذا الحقل العلمي الناشئ.

من جهة أخرى، فقد اختار كوك وباسيتي Cook and Bassetti (2005) مثلاً التقسيم الأساسي: نظام الكتابة الصوتي (المعتمد على الصوت)، ونظام الكتابة المعنوي (المعتمد على المعنى)، ومن هذين تتفرع أربعة أنظمة للكتابة. أما فرع نظام الكتابة المعنوي فيشمل كل نوع كتابي يقدم أشكالاً مفيدة من ناحية المعنى دون الاستفادة من العناصر الصوتية في اللغة، ومن ذلك: الأنظمة السيميائية المفاهيمية ideographic، والأنظمة الشعارية، والأنظمة شبه المعنوية أو «الصرف-مقطعية» بتعبير الباحثين morpho-syllabic (لواصق صرفية معنوية + مقاطع صوتية)، وهو مصطلح مشابه في الحقيقة لمصطلح دانيالز (الأنظمة الشعارمقطعية logosyllabary) ومصطلح روجرز (الاعتماد على المعنى morphography). وأما فرع نظام الكتابة الصوتي

في تصنيف كوك وباسيتي فيشمل الأنواع الثلاثة: الأنظمة الصوتية، والمقطعية، والألفبائية الهجائية كما هي في الشكل 2.



الشكل 2 تصنيف الأنظمة الكتابية لدى Cook and Bassetti's (2005)

في محاولة قياس كمي، وظّف Kohler (2008) التقسيم الثنائي الأساسي ذاته، لكن مع إضافة قسيم ثالث هو «الأنظمة المختلطة» من أجل تصنيف الأنظمة المشكّلة؛ أي أنه بعبارة أخرى قد وضع تصنيفاً ثالثاً إلى جانب الكتابة الصوتية والكتابة المعنوية يمكن أن يسمى «الأنظمة الأخرى»، لكنه سماها الأنظمة المختلطة لكونه ربما لم يقتنع ببعض التصنيفات السابقة التي أدرجت الكتابات التي تحتل الصنفين، كالأنظمة شبه المعنوية التي أشار إليها دانيالز وروجرز وكوك وباسيتي، كما ناقشنا أعلاه. هذه المحاولة المبسّطة لتصنيف أنظمة الكتابة تعود بنا في الحقيقة إلى ما قدمه تايلر (1883) منذ البداية بالتصنيف الثلاثي: الشعاري (الصورى)، والمقطعي، والهجائي (Dickinson وآخرون، 2013). ورغم شهرة تصنيف تايلر بين الباحثين في هذا الحقل (Daniels، 1996) على الأقل فيما قبل الألفية (بل حتى فيما بعدها لدى معظم الباحثين العرب كما سيأتي)، فإن هذا التصنيف يهمل خصائص الخطوط السامية الصوتية، مضيفاً إياه - رغم اختلافه الكبير كما رأينا - إلى القسيم الثالث الهجائي.

3 - نحو تفكيك الإشكالية

أشرتُ إلى أن نظرية أنظمة الكتابة قد فتحت الباب للدارسين والباحثين من خلال وضع آليات وقواعد للتعامل مع الكتابة بوصفها نتاجاً لغوياً مقابلًا - لا ظلاً وانعكاساً فحسب - للغة المنطوقة. إلا أن حداثة الاهتمام بهذا المجال لم تتح له الاستقرار العلمي الكامل، بحيث وصفه روجرز (2005) بالاضطراب والفوضى، ومن ذلك إشكالية تعدد المصطلحات وتذبذب دلالاتها.

لقد أسهم نشوء العلم ذاته حديثاً، وضعف الاهتمام اللساني به، في توليد قاعدة هشة لدعم الدراسات العلمية بوجه عام والتصنيفية منها بوجه خاص. فرغم أن المقاربة التصنيفية الأشهر تنبني على الربط بين اعتماد الصوت من عدمه، ومن هنا فنحن نتوافر إجمالاً على أنواع مختلفة كالكتابة السيميائية المفاهيمية - ideograph، والأنظمة الشعارية، والأنظمة الصوتتصورية، فقد رأينا فيما وصفنا أعلاه من المقاربات اختلافاً غير قليل بين العلماء والباحثين في هذا الحقل العلمي؛ بل إن بعض الدارسين (مثل دي فرانسيس 1989) قد جعل كل الأصناف الكتابية تعود صنفاً واحداً، بحيث سمي كتابه - Visible Speech: The Diverse One- ness of Writing Systems «الكلام الظاهر: الكلية المتجزئة للأنظمة الكتابية»! وهذا بدوره أنشأ ما يمكن تسميته بإشكالية التصنيف، التي أحاول هنا بذل الجهد لوصفها وتحليلها وتفكيكها من خلال مناقشة المقاربات التصنيفية لتلك الأنظمة وربط بعضها ببعض للخروج بتصنيف أكمل من تلك المقاربات.

لقد صدرتُ في مقدمة هذا المبحث الكلام عن أهمية الدراسة التصنيفية في مجال الأنظمة الكتابية، إذ تساعد في توضيح معماريتها وفهم خصائصها وطبيعتها اللغوية، إلا أن ثمة اعتقاداً واسعاً بأن دراسة الاختلافات بين الأنواع الكتابية مهمة لمستخدمي هذه الأنظمة (Sampson، 2016) في المقام الأول. فقد ثبت مثلاً أن الأنظمة الشعارية تتطلب وقتاً أطول بكثير لإجادة الكتابة بها من الأنظمة الألفبائية (Mattingly، 1972) لأنه لا مجال للمقارنة بين عدد الحروف/ الأشكال الكتابية المستخدمة في النوعين؛ فبينما تشتمل الألفبائيات على العشرات التي ربما لا تتعدى الثلاثين، تحوي الشعارية آلاف الأشكال الكتابية التي يدل كل منها على معنى

محدد. في المقابل فإن البحث العلمي أثبت أيضاً أن إتقان الخطوط الألفبائية أكثر تحدياً للعقل لتطلبها التفريق المستمر بين الحروف المتصلة في تيار الحديث (المكتوب) وتحويل كل حرف على حدة إلى مقابله الصوتي (Sampson، 2016). بإزاء ذلك، فقد أظهرت دراسات علم اللغة الاجتماعي مما يتصل بأنظمة الكتابة، كتلك التي قام بها كولماس (Coulmas) (2003، 2013، 2014) وسامبسون (Sampson) (2015)، أن هناك علاقة بين التعقيد الكتابي والاتصال الاجتماعي.

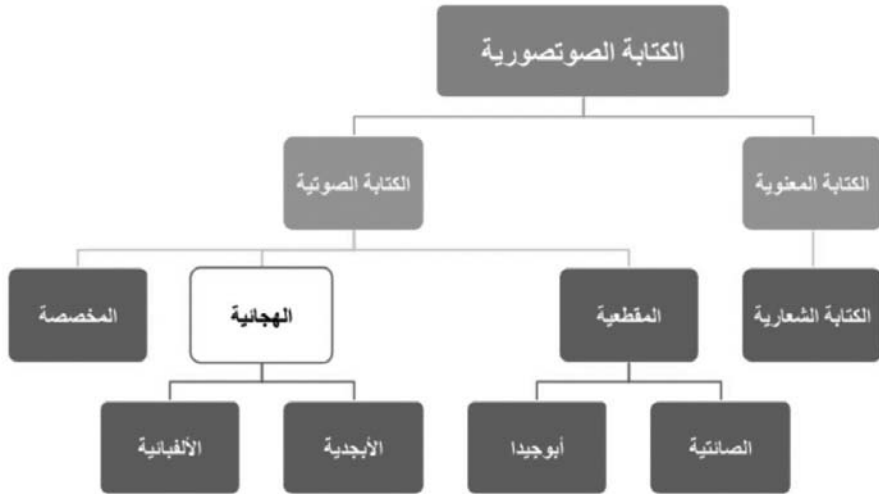
وبحسب ما استقرينا في الفصول السابقة، فيمكن لمقاربة التصنيف أن تتسطح أو تتعمق في المستوى التصنيفي؛ إذ يمكن مثلاً أن تتوقف في المستوى العام، أو التفصيلي، أو الدقيق جداً؛ لنكون - كما رأينا - أمام صنفين فقط في الأول (الكتابة الصوتية والكتابة الشعارية) وبضعة تصنيفات في المستوى التفصيلي، وأكثر من ذلك في المستوى الدقيق جداً. وليكون التصنيف معتمداً فينبغي ألا يكون سطحياً من جهة ولا عميقاً جداً من جهة أخرى. كما يرى كولماس (Coulmas) (1996) أن من المهم وجود توازن في المقاربات التصنيفية فلا تشتمل على فئات كثيرة جداً تتجاهل المشتركات العامة المهمة، ولا تتضمن أنواعاً قليلة جداً بحيث لا يجدي التحليل العميق للأنظمة الكتابية.

تجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أن كثيراً من العرب الباحثين في هذا الحقل المعرفي يذكر «الأبجدية» ويعني بها أموراً مختلفة كالنظام الكتابي عموماً (انظر مثلاً حسين، 2004)، أو النظام الألفبائي (انظر مثلاً الجبوري، 2009؛ زكريا، 2014)؛ وربما يكون سبب إطلاق الأبجدية على النظام الألفبائي باعتباره القسم الثالث في التقسيم الثلاثي الأشهر في هذا الحقل لجلب Gelb. ومع أنه يمكن الاعتذار لباحثين سابقين اتبعوا هذه الثلاثة كالبعليكي (1981)، فإنه لا يمكن قبول هذا التقسيم القديم ولا إطلاق الأبجدية على كل نظام كتابي مختلف عن الكتابة الصينية والشرقية كما يفعل بعض المتأخرين؛ إذ يضيف هذا الاضطراب المنسوخ من الدراسات الغربية مزيداً من التشبث العلمي في هذا الحقل، خاصة أن الدراسات العربية لا تضيف جديداً إلى الدراسات الحديثة، فينبغي ألا تعيد إنتاج القديم على الأقل!

وللبداء في تشكيل إطار للتصنيف الأفضل حسب ما أطرحه في هذه الدراسة،

ينبغي أن نتفق أولاً على بعض المعايير الرئيسة في هذا الإطار:

- 1 - التصوير والصور والكتابة الصُّورية pictography، والمفاهيمية ideography ليست من الكتابة اللغوية. بل هي رسم وتصوير صرف، وفن إبداعى مستقل.
 - 2 - يعتمد الإطار التصنيفي مستوى تفصيلاً متوسطاً، بحيث يوازن بين العمق الذي ينتج فئات متنوعة وتصنيفات فرعية كثيرة لكل اختلاف مع كثرة التشابه، وبين السطحية التي تحوي أنواعاً قليلة جداً تتجاهل الخصائص الكتابية الفريدة والأصيلة للأنظمة الكتابية.
 - 3 - يتضمن الإطار أغلب ما اتفق عليه المحققون في هذا المجال، ويستبعد الاجتهادات الفردية التي لم يتابعها الأكثرون.
 - 4 - صنف «الأنظمة القاصرة» ليس صنفاً ولا نوعاً كتابياً، بل هو وصف غير دقيق ولا تحقيق بالاهتمام، خاصة أن أشهر من تحدث عنه هما دي فرانسيس وفابر، وقد رد عليهما كثير من العلماء، كما أشرت إلى ذلك فيما سبق.
- بناء على هذا فقد قسمت المستويات والأصناف إلى أربعة أقسام: (1) ضروري متفق عليه، (2) مهم جدير بالذكر، (3) إضافي يمكن ذكره، (4) تفصيل دقيق غير مهم. يتضمن القسم الأول الكتابة المعنوية الشعارية والكتابة الصوتية التي تتضمن المقطعية والألفبائية. ويجوي القسم الثاني الجدير بالذكر الكتابة الصوامتية الأبجدية وأبوجيدا؛ فيما يشتمل الثالث على الكتابة المخصصة (في تصنيف سامبسون ودي فرانسيس ودانيالز). وما عدا هذه التصنيفات فقد عدده ضمن القسم الرابع الذي يفضي إلى تفصيل غير مفيد. ونتيجة لهذا التقسيم، فقد بات لدينا - كما يظهر في الشكل 3 - ثلاثة مستويات: الكتابة المعنوية والصوتية في المستوى الأول، والشعارية والمقطعية والهجائية والكتابة المخصصة في المستوى الثاني، وأبوجيدا والصائتية والصوامتية (الأبجدية) والألفبائية في المستوى الثالث. ومن هنا فالأصناف الكتابية سبعة هي: الكتابة الشعارية، والمقطعية، والصائتية، وأبوجيدا، والأبجدية، والألفبائية، والكتابة المخصصة.



الشكل 3 التصنيف المقترح للأنظمة الكتابية

يجمع هذا التصنيف المقترح أفضل نتائج المقاربات والدراسات السابقة خاصة تلك المقاربات التي عُنت بالتشريح البنيوي للمعمارية الكتابية وطريقة التشفير للصوت اللغوي وقياس مدى الشفافية الإملائية في إطار نظرية أنظمة الكتابة، مثل دراسات سامبسون (1985) ودانيالز (1996) وكولماس (2003) وروجرز (2005). ويمكن من خلال هذا الدرس التحليلي للمقاربات وضع اليد على تصنيف متوازن شبه كامل، هو هذا التصنيف المقترح الذي يمكن الاعتماد عليه في التقدم نحو حل الإشكالية التصنيفية للأنظمة الكتابية. الجدول التالي مثال على أنواع من الأنظمة الكتابية التي يمكن إدراجها في هذا التصنيف المقترح ذي الأصناف السبعة.

النوع الكتابي	الصف	الوحدة اللغوية الممثلة	الخط	الكتابة
النظام المعنوي	الشعاري	الوحدات الصرفية المعنوية	هانزي 汉字 hanzi	الماندرين الصينية
النظام الصوتي	المقطعي	المقطع الصوتي	ي Yi	التبتية
	أبوجيدا	صامت + صائت	ديفانجاري - بنغلا Ban-gla	البنغالية

النوع الكتابي	الصنف	الوحدة اللغوية الممثلة	الخط	الكتابة
النظام الصوتي	الصائتي	الوَحيدة الصوتية mora	kana	اليابانية
	الأبجدي	الصوامت وبعض الصوائت	العربي	العربية
	الألفبائي	هجاء صوتي لكل صوتيم	الروماني	الإنجليزية
	المخصص	المقطع الصوتي بناء على موقعه من الكلمة	Hangeul	الكورية

وقد اهتممت بإضافة صنف «الكتابة الصائتية» لوروده لدى عدد من الباحثين الكبار، مثل دي فرانسيس DeFrancis (1989)، و راتكليف Ratcliffe (2001)، وكولماس (2003)، وروجرز (2005)، وإن لم يعترف به كصنف مستقل إلا راتكليف وروجرز. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فلأنها المعادل التفرعي والتفصيلي كتابياً لنظام أبو جيد الذي قدمه دانيالز (1996). وقد سبق التعريف بالكتابة الصائتية ووحيدتها الصوتية mora التي تعطي وزناً للصوائت بحسب طولها ومدتها، وهو نموذج تحليلي في الدراسة اللغوية للمقطع الصوتي وأجزائه، شكّله في البداية هايمن Hyman (1985) ثم طوره هو وآخرون بعد ذلك. وبما أن التشريح للأنظمة الكتابية يعتمد في الأساس على الربط بين الرمز والصوت، فقد دخل في هذا الحقل من هذا الباب الذي تكون فيه الكتابة ممثلة للوحيدة الصوتية تحديداً لا للمقطع الصوتي بطوله أو لأي جزء آخر.

ولم أتبع كولماس في إضافة فرع «الأنظمة المختلطة» Mixed Systems، لأن كثيراً من الأنظمة الكتابية هي في الحقيقة مختلطة كما رأينا في قياسات فابر Faber (1992) وسبروت Sproat (2000) الكمية متعددة الأبعاد؛ إذ يمكن تصنيف عدد من الأنظمة الحائرة (غير المصنفة) إما ضمن الفرع الأقرب - وهو ما أختره - أو تصنيفها هروباً من التقرير ضمن «الأنظمة المختلطة» أو «الأنظمة الأخرى». فالكتابة اليابانية مثلاً صُنفت في الأنظمة الشعارية، والأنظمة الشعارمقطعية logossyllabary، بالإضافة إلى الأنظمة المختلطة، ولا شك أن تصنيفها ضمن الأنظمة الشعارية هو الأقرب والأمثل حتى يظهر تصنيف أفضل منه فتضاف إليه بدلاً من وضعها في

الأنظمة المختلطة. ولأن الهدف الأساسي من التصنيف محاولة الفهم والتقريب بجر النظام الكتابي إلى الصنف الذي يغلب عليه إقراراً بصفاته، لا زيادة الغموض ورفع درجة التعقيد بجمع عدد من الأنظمة في تصنيف «الأنظمة المختلطة» أو «الأنظمة المعقدة» كما فعل بعض الباحثين، ولا التبسيط المخل وإفراغ العمل التصنيفي من محتواه بإضافة تصنيف «الأنظمة الأخرى».

خاتمة

طوفنا فيما سبق على نشأة نظرية أنظمة الكتابة وإطارها النظري، ومقارباتها التصنيفية، في محاولة لسبر إشكالية الفوضى التصنيفية التي اعترف بها عدد من المحققين في هذا الحقل العلمي. ورغم التقدم الكبير الذي شهدته أنظمة الكتابة على المستوى الاصطلاحي والنظري، فإن إشكالية التصنيف بقيت في اتساع وازدياد بسبب كثرة الأطروحات التي تعتمد على مقاربات علمية مختلفة وربما متضاربة.

وقد حاولت في هذا التطواف استعراض أهم المقاربات التصنيفية وأكثرها تأثيراً في هذا المجال، والإشارة إلى أهم الدراسات ووجهات نظرهم سواء منها فرضياتهم الفريدة أو تلك التي اتفقوا فيها مع آخرين. ومن هنا اتضح معالم تلك الإشكالية التصنيفية التي تسيطر على الدراسات في هذا الحقل، من حيث الاختلاف الشديد أحياناً في تصنيف الأنظمة الكتابية. وفي اتجاه إيجابي لتفكيك هذه الإشكالية، حاولت جاهداً - بعد استعراض وجهات النظر العديدة لأهم الدارسين - تشكيل أطروحة تصنيفية تجمع المتفق عليه وما يقارب ذلك من حيث الأهمية والذكر، وتطرح ما سواه. فخرجت الأطروحة بتصنيف سباعي يضع الأمور في نصابها بحيث يعترف لما هو من خصائص الأنظمة الفريدة كالأبجدية للعربية والمخصصة للكورية والصائتية لليابانية التي أهملت كلها أو بعضها في كثير من المقاربات السابقة.

بكل تأكيد لن يكون هذا المقترح الحل الأمثل لإشكالية تصنيف الأنظمة الكتابية على ما وصفتُ أفناً، لكنه الحل الأكمل حتى الآن من وجهة نظر الباحث، إذا أخذنا بالاعتبار الرؤية الشاملة للمقاربات المختلفة التي تطرقنا لها هنا، والحل المتوازن بين التبسيط الذي يفقدنا فائدة التصنيف العلمية، والتعقيد الذي يوقنا في الحيرة ويزيد الإشكالية وهجاً.

2 - يجد المشتغل بالكتابة والقراءة ترجمات مختلفة للكلمة literacy أشهرها «القدرة على القراءة والكتابة» و«حو الأمية»، وأقل شهرة «الثقّف والثقافة» (معجم المعاني) و أبجدة (المنظمة العربية للترجمة)، وربما - للحظ السعيد - أقلها انتشاراً «الحرفاء» و«الأحرفية» (الفاسي الفهري، 2007)، كما يترجم اسم الفاعل منها lit-erate إلى «يحدد الكتابة والقراءة» و«المتعلم» و«المثقف» و«الأحرفي» و«الأديب». غير أنني أجد هذه التراجم غير ذات جدوى خاصة بالمقارنة مع الترجمة المقابلة لكلمة Illiteracy وهي الأمية، فهي كلمة مقابل كلمة، وذات دلالة واضحة وأصل أصيل في العربية. إذ الأمية والأمي صفة لمن لا يحسن الكتابة والقراءة، فهما في الأصل لا تتعلقان بالجهل المقابل للتعلم والثقافة، قدر تعلقهما بالوجه الناتج المصنوع من اللغة = الكتابة والقراءة. ورد في لسان العرب «الأمِّي الذي لا يَكْتُبُ، قال الزجاج: الأمِّي الذي على خِلْقَةِ الأُمَّةِ لم يَتَعَلَّمِ الكِتَابَ فهو على جِبَلَّتِهِ، وفي التنزيل العزيز: ومنهم أمميون لا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ. وفي الحديث: إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لا نَكْتُبُ ولا نَحْسِبُ. وتسمية من لا يحسن الكتابة والقراءة بالأمي تسمية موافقة للنظرية اللغوية الحديثة التي تفسر اللغة بالنظام اللغوي وبالكلام الناتج عنه (دي سوسير) ومن هنا فالتسمية بلغة الأم واللغة الأم لها وجهها من حيث ما وُلد وجبل عليه الإنسان من القدرة اللغوية (تشومسكي) ومن الكلام بلغة الأم المكتسبة، ويلتحق بها الأمية لأن الإنسان يولد كم أمه فلا يحتاج إلى تعلم الكلام، لكنه محتاج إلى تعلم القراءة والكتابة، وإذن فالأمي الذي بقي على جبلته المكتسبة هذه منذ الولادة. ومنه وصف المصطفى صلى الله عليه وسلم بالأمي، وهو هنا وصف كمال خاص به لإظهار معجزته لا وصف نقص. المقصود أن ترجمة illiterate بالأمي ترجمة رائعة من نواحي عدة لغوية ولسانية واصطلاحية، غير أن الترجمة للمفردة المضادة لا يفي منها شيء بهذا أبداً. وبهذا فإنني أقترح كلمة واحدة مقابلة للمفردة الأجنبية تؤدي الغرض بتمامه وبدلالة غير محتاجة إلى التفسير في ذاتها مثل التراجم الحالية. إنه لما قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ، قال ما أنا بقارئ. في التحليل لهذا الحوار، يمكننا ملاحظة أن قول جبريل «اقرأ» قول خاص مقيد بمقروء محدد، أي أتلى كتاب الله. لكن رد النبي صلى الله عليه وسلم رد عام مطلق أشمل من الخصوص الوارد في قول جبريل. فقوله عليه السلام «ما أنا بقارئ» يعني أنني لا أحسن القراءة إطلاقاً، وهو مصداق أميته

عليه السلام، ولكنه استخدم هنا صفة النفي بديلاً عن صفة الإثبات بمعنى أنه نفى عن نفسه «القدرة على القراءة والكتابة» literacy بدلاً من إثبات الأمية illiteracy. إنني أقترح استخدام هذه الكلمة النبوية الفصيحة البليغة مصطلحاً مقابلاً للأمّي بحيث يكون لدينا في مقابل الأمّي والأميّة: القارئ Literate والقارئة literacy، وقد اعتمدت هذه الترجمة في هذا المبحث.

3 - ويمكن لطالب الزيادة الرجوع إلى الموسوعات المتخصصة بأنظمة الكتابة مثل The Blackwell Encyclopedia of Writing Systems.

4 - يتقدم الباحث بجزيل الشكر إلى مركز البحوث بمعهد اللغويات العربية على دعمه لهذه الدراسة، وتحفيزه للباحثين في هذا المجال، كما أزجي الشكر لكل من راجع الدراسة وأضاف إليها من الزملاء الباحثين.

5 - يمكن مراجعة Mountford (1990) للمزيد حول جدلية اللغة والنظام الكتابي.

6 - هي تلك الأنظمة التي تضع مقابل كل وحدة صوتية في اللغة وحدة كتابية تقريباً.

المراجع العربية

- بعلبكي، رمزي (1981) الكتابة العربية والسامية: دراسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين. بيروت: دار العلم للملايين.

- الجبوري، محمود شكر محمود (2009) الحروف الهجائية: أصلها-تطورها-انتشارها. بغداد: منشورات المجمع العلمي.

- حسين، محمود حاج (2004) تاريخ الكتابة وتطوره وأصول الإملاء العربي. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة.

- زكريا، محمود شريف 2014 [1435] مقدمة في الكتابة العربية والمخطوط العربي: النشأة والتطور. عمان، الأردن: الدار المنهجية للنشر والتوزيع.

- مركز خدمة العربية. (2018). سلسلة مباحث في نظام الكتابة العربية. تم الاسترداد

من مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية: <https://kaica.org.sa/site/page/89>

المراجع الأجنبية

-**Abu-Rabia, S. (1997)** 'Reading in Arabic orthography: The effect of vowels and context on reading accuracy of poor and skilled native Arabic readers', *Reading and Writing: An Interdisciplinary Journal*, (9), pp. 65-78.

-**Al-Rasheed, A.; Franklin, Anna; Drivonikou, Gilda; and Davies, Ian. (2014)**. 'Left Hemisphere Lateralization of Categorical Color Perception among Roman and Arabic Script Readers'. *Psychology*. 5. pp 255-270.

-**Bloomfield, L. (1935)**. *Language*. London: Allen & Unwin.

-**Borgwaldt, S.R. and Joyce, T. (2013)** 'Typology of Writing Systems: Introduction', in Borgwaldt, S.R. and Joyce, T. (eds.) *Typology of Writing Systems*. Amsterdam: John Benjamins Publishing.

-**Burnaby, B. (1998)** 'Writing Systems and Orthographies', in Corson, D. (ed.) *The Encyclopedia of Language and Education*. The Netherlands: Kluwer: Dordrecht.

-**Chan, T., and Bergen, B. (2005)** *Writing Direction Influences Spatial Cognition*. Paper presented at the Proceedings of the Twenty-Seventh Annual Conference of the Cognitive Science Society.

-**Cook, V. (2004)** *The English Writing System*. London: Oxford University Press.

-**Cook, V. and Bassetti, B. (2005)** 'An Introduction to Researching Second Language Writing Systems', in Cook, V. and Bassetti, B. (eds.) *Second Language Writing Systems*. Clevedon: Multilin-

gual Matters Ltd.

-**Coulmas, F. (1989)** The Writing Systems of the World. Oxford: Basil Blackwell.

-**Coulmas, F. (1996)**. 'Typology of writing systems'. In Hartmut Günther & Otto Ludwig (eds.), Schrift und Schriftlichkeit [Writing and its use] (vol. 2), 1380–1387. Berlin: De Gruyter.

-**Coulmas, F. (1999)** The Blackwell Encyclopedia of Writing Systems. Oxford: Blackwell Publishers.

-**Coulmas, F. (2003)** Writing Systems: An Introduction to Their Linguistic Analysis. Cambridge Cambridge University Press.

-**Coulmas, F. (2013)** Writing and Society. London: Cambridge University Press.

-**Coulmas, F. (2014)** 'Writing Systems and Language Contact in The Euro- And Sinocentric Worlds'. Applied Linguistics Review. 5, (1), pp 1 – 21.

-**Coulmas, F. (2014)** The Blackwell Encyclopedia of Writing Systems, John Wiley & Sons, Retrieved from <https://onlinelibrary.wiley.com/doi/book/10.1002/9781118932667>.

-**Daniels, P.T. (1996)** 'The Study of Writing Systems', in Daniels, P.T. and Bright, W. (eds.) The World's Writing Systems. Oxford: Oxford University Press.

-**Daniels, P.T. and Bright, W. (eds.) (1996)** The World's Writing Systems. Oxford: Oxford University Press.

-**DeFrancis, J. (1989)** Visible Speech: The Diverse Oneness of Writing Systems. Honolulu: University of Hawaii Press.

-**Dickinson, M., Brew, C. and Meurers, D. (2013)** Language and Computers. Hoboken, N.J.: John Wiley & Sons.

- Diringer, D. (1962).** Writing. London: Thames & Hudson.
- Diringer, D. (1968)** The Alphabet: A Key to the History of Mankind. 3rd ed. London: Hutchinson.
- Eviatar, Z. (1995).** “Reading Direction and Attention: Effects on Lateralized Ignoring.” *Brian and Cognition* 29(2): 137-150.
- Faber, Alice (1992).** ‘Phonemic Segmentation as Epiphenomenon: Evidence from the History of Alphabetic Writing’. In Pamela Downing, Susan D. Lima & Michael Noonan (eds.), *The Linguistics of Literacy*, pp 111–134. Amsterdam: Benjamins.
- Gelb, I. (1963)** A Study of Writing. 2 edn. Chicago: University of Chicago
- Haas, William (1976).** Writing: The basic options. In William Haas (ed.), *Writing without letters*, 131–208. Manchester: Manchester University Press.
- Harris, Roy. (2009)** Speech and writing. In David R. Olson, Nancy Torrance (eds.), *The Cambridge handbook of literacy*. New York: Cambridge University Press, pp. 46-58.
- Hill, A.A. (1967)** ‘The Typology of Writing Systems’, in Austin, W.M. (ed.) *Papers in Linguistics in Honor of Léon Dostert*. The Hague: Mouton.
- Hyman, Larry. (1985).** A Theory of Phonological Weight. Dordrecht: Reidel. International Phonetic Association. 1949. Principles of the International Phonetic Association.
- Joyce, T. and Borgwaldt, S.R. (2011)** ‘Typology of Writing Systems’, *Written Language and Literacy* 14(1), pp. 1-11.
- Katz, L. and Frost, R. (1992).** ‘The Reading Process is Different for Different Orthographies: The Orthographic Depth Hypothe-

sis'. In L. Katz and R. Frost. Orthography, Phonology, Morphology, and Meaning. Amsterdam, Elsevier North Holland Press.

-**Kohler, R. (2008)** 'Quantitative Analysis of Writing Systems: An Introduction', in Altmann, G. and Fengxiang, F. (eds.) Analyses of Script: Properties of Characters and Writing System. Berlin: Walter de Gruyter.

-**London:** University College.

-**Mattingly, I. (1972)**. 'Reading, the linguistic process, and linguistic awareness'. In James F. Kavanagh & Ignatius G. Mattingly (eds.), Language by ear and eye, 133–147. Cambridge, MA: MIT Press.

-**Mattingly, I.G. (1985)** 'Did Orthographies Evolve?', Haskins Laboratories Status Report, 82/83, pp. 251-260.

-**Mei, L., Xue, G., Lu, Z.-L., He, Q., Zhang, M., Xue, F., Chen, C. and Dong, Q. (2013)** 'Orthographic Transparency Modulates The Functional Asymmetry in the Fusiform Cortex: An Artificial Language Training Study Original Research Article', Brain and Language, 125(2), pp. 165-172.

-**Mountford, J. (1990)**. Language and Writing Systems. In N. E. Collinge (Ed.), An Encyclopaedia of Language. London: Routledge.

-**Mountford, J. (1996)** 'A Functional Classification', in Daniels, P.T. and Bright, W. (eds.) The World's Writing Systems. Oxford: Oxford University Press.

-**Neef, Martin. (2015)** 'Writing systems as modular objects: proposals for theory design in grapholinguistics'. Open Linguistics, (1), pp. 708–721

-**Olson, D.R. (1977)** 'From Utterance to Text: The Bias of Lan-

guage in Speech and Writing', Harvard Educational Review, 47(3), pp. 257-281.

-Owens, J. (2013) The Oxford Handbook of Arabic Linguistics, Oxford: Oxford University Press.

-Penn, G. and Choma, T. (2006) Human Language Technology Conference of the North American Chapter of the ACL. New York, NY. Association for Computational Linguistics.

-Perfetti, C.A. (1999) Comprehending Written Language; A Blueprint of the Reader. In C. Brown & P. Hagoort. (Ed.), The Neurocognition of Language. Oxford: Oxford University Press.

-Ratcliffe, R. (2001) 'What Do Phonemic Writing Systems Represent? Arabic huruf, Japanese kana, and the Moraic Principle', Written Language and Literacy, 4(1), pp. 1-14.

-Rogers, H. (2005) Writing Systems: A Linguistic Approach. Oxford: Blackwell.

-Ryan, A. and Meara, P. (1991) 'The Case of the Invisible Vowels: Arabic Speakers Reading English Words', Reading in A Foreign Language, 7, pp. 531-531.

-Sampson, G. (1985) Writing Systems. Stanford, California: Stanford University Press.

-Sampson, G. (2015). Writing systems. 2nd ed. Sheffield: Equinox

-Sampson, G. (2016). 'Typology and The Study of Writing Systems'. Linguistic Typology, 20, (3), pp 561–567.

-Sassoon, R. (2004) The Acquisition of A Second Writing System. Bristol: Intellect Books.

-Simons, F. and Fennig, Charles D. (2017) Ethnologue: Languages of the World. In Online version: <http://www.ethnologue>.

com. Dallas, Texas: SIL International.

-**Smalley, W.A. (ed.) (1964)** Orthography Studies: Articles on New Writing Systems. London: United Bible Society.

-**Sproat, R. (2000)** A Computational Theory of Writing Systems. Cambridge University Press.

-**Stubbs, M. (1980)** Language and Literacy: The Sociolinguistics of Reading and Writin. London: Routledge & Kegan Paul.

-**Taylor, I. (1883)** The Alphabet: An Account of The Origin and Development of Letters. London: Kegan, Paul, Trench.

-**Taylor, I. and Olson, D. (eds.) (1995)** Scripts and Literacy: Reading and Learning to Read Alphabets, Syllabaries and Characters. Dordrecht, The Netherlands: Kluwer Academic Publishers.

-**Vaid, J. and Gupta, A. (2002)** 'Exploring Word Recognition in a Semi-Alphabetic Script: The Case of Devanagari', Brain and Language, 81(1-3), pp. 679-690.